

قراءات ومراجعات

مراجعة لكتاب

التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود*

تحرير: فتحي حسن ملكاوي**

حسام مصطفى اللحام***

يتناول هذا الكتاب موضوع "التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود"، انطلاقاً من الإيمان بأن التربية هي المدخل الأساس في التغيير الاجتماعي والثقافي والحضاري. وقد ساهم في تأليف الكتاب علماء وباحثون من المغرب والجزائر وتونس والأردن؛ إذ تنوّعت أفكارهم وتضافرت جهودهم؛ لبناء تصوّر تربويّ منهجيّ متكامل، يرمي إلى أن يشكل مشروعاً للتربية الفكرية؛ تعزيزاً للجهود المبذولة في سبيل الإصلاح الحضاري في العالم الإسلامي.

* تأليف جماعي. التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2021م.

تعتمد المراجعة الإحالة إلى الكتاب؛ بالإفصاح عن اسم المؤلف الذي أنجز الفصل المُتناوَل.

** دكتوراة في التربية العلمية وفلسفة العلوم، من جامعة ولاية ميشيغان الأمريكية، تربويّ وأستاذ جامعيّ أردنيّ وباحث في المعهد

العالمي للفكر الإسلامي. البريد الإلكتروني: fathimallkawi@gamil.com

*** دكتوراة في البلاغة العربية، من الجامعة الأردنية، 2002م، أستاذ جامعيّ مشارك، متقاعد من جامعة الزيتونة الأردنية. البريد

الإلكتروني: husam.lahham@yahoo.com

تم تسلّم المراجعة بتاريخ 8/7/2024م، وقُبِلت للنشر بتاريخ 10/9/2024م.

للحام، حسام مصطفى (2024). مراجعة لكتاب: التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود، مجلة "الفكر الإسلامي

المعاصر"، مجلد 30، العدد 108، 187-200. DOI: 10.35632/citj.v30i108.10233

الحقوق كافة محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2024

جاء الكتاب في مقدّمة وعشرة فصول وخاتمة، وعُني فتحى ملكاويّ بتحريره، وكَتَبَ مقدّمته وخاتمته والفصل السادس، ومهّد لكلّ فصل من فصول الكتاب بموجز وسَمَهُ بـ"تقديم التحرير" عرّف فيه بفكرة الفصل وموقعه في خطّة الكتاب الكلّية.

تحدّث ملكاوي في المقدّمة عن أهميّة الكتاب، وبواعث تأليفه، ومكانته في الدّراسات التربويّة، ومفهوم التربية الفكرية، وحضورها في التّراث التربويّ وفي الدّراسات التربويّة المعاصرة. وأشار إلى الموضوعات التي تناوّلها كلّ فصل.

وفي الفصل الأوّل، وقف عزمي طه¹ على موضوع "التربية الفكرية: مفهومها وأهميتها". وصرّح -في مقدّمة الفصل- بأنّه سينطلق في بحثه هذا الموضوع، من المسلّمات الإسلامية الكبرى التي تُعبّر عنها مفاهيم: العبادة، والخلافة، والهداية، والابتلاء (عزمي، 2021، ص 25).

وقد توزّع الفصل في بحثين: مهّد الباحث -في المبحث الأوّل- للوصول إلى مفهوم التربية الفكرية؛ بتوضيح المقصود بمصطلح التربية، ومصطلح الفكر وما ينسب إليه (الفكريّ، والفكرية) طبقاً لقوانين المنطق. وعرّف التربية وبيّن هدفها والوسائل والطرائق المادّية وغير المادّية التي تستعين بها. وأوضح -في المبحث الثاني- صلة التربية الفكرية بالنّظر العقليّ، والعلم، والثقافة. وأفصح عن المقصود بمصطلحات: النّظر العقليّ، والتفكير، والاستدلال. وركّز على بيان أركان عمليّة التربية الفكرية: المتعلّم، والمربّي. وتحدّث عن أثر التربية الفكرية في عملية التنشئة، وانعكاسها على جميع جهود التّربية وجوانبها، وحدّد الصّلة بين التربية الفكرية وأنواع التربية الأخرى، ودور التربية الفكرية في الإصلاح التربويّ (طه، 26-48).

وفي الفصل الثاني، تناول محمّد عبد السلام عوّام² -في ثلاثة مباحث- "التربية الفكرية في القرآن الكريم والسنة النبوية"، مركّزاً على منطلقه الأساس الذي ذكره في مقدّمة الفصل؛ من حيث كون

¹ دكتوراة في الفلسفة الإسلامية، من جامعة أدنبرة، 1981م، أستاذ جامعيّ متقاعد من جامعة آل البيت في الأردن، البريد

القرآن هدياً منهجياً، من مقاصده إصلاح التفكير الإنساني؛ وهو يمثل -مع السنّة النبويّة- اللبنة الأساسية والمنطلق الأصيل لقضيّة التربية الفكرية (عوّام، ص 53).

وبناء على ذلك، حلّل الباحث -في المبحث الأول- مقاصد نصوص التفكير في القرآن الكريم، وتقصّى الآيات التي ورد فيها لفظ التفكير، ونبّه إلى المقاصد المتعدّدة للآيات المقتبسة، وربط بين الآيات وما ورد في السنّة النبويّة من إشارات تتّصل بالتربية الفكرية، وتعدّ منهجاً قرآنيّاً في الاستدلال.

وعرض-في المبحث الثاني- لمسألة تأسيس التفكير العلميّ في القرآن الكريم، مُعتمداً على الآيات التي تُستشفّ منها المنهجية العلمية، وتمثّل مرجعية في تأسيس التفكير العلميّ.

وبيّن -في المبحث الثالث- أساليب التفكير المتعدّدة في القرآن والسنّة. ودعا -في خاتمة الفصل- إلى إعادة الاعتبار للتربية الفكرية بوصفها وسيلة من وسائل الإصلاح، وضرورة التعامل مع التربية الفكرية من منظور مقاصديّ. واقترح وسائل تطبيقية يمكن بها رفق هذا الموضوع؛ في بناء الإنسان الصالح (عوّام، ص 89-90).

وفي الفصل الثالث "التربية الفكرية في التراث الإسلاميّ" استعرض جميل أبو سارة² -في أربعة مباحث- التجليات الكبرى الفكرية في التراث الفلسفيّ الإسلاميّ، واعتمد في ذلك على جهود المفكرين والفلاسفة.

نبّه -في المبحث الأول- إلى ارتباط النظر العقليّ بالأخلاق في التراث الفلسفيّ الإسلاميّ، ذاهباً إلى أنّ الآلة التربويّة الأخلاقية سخرت منظومتها الهائلة تجاه التربية الفكرية؛ بحيث صار "الفكر" و"العقل"

² دكتوراة الدولة في تخصّص أصول الفقه، من جامعة سيدئ محمد بن عبدالله، كآية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرّاز/ فاس 2008م، أستاذ سابق بكلّية الآداب والعلوم في الرباط، وعضو بمركز المقاصد للدراسات والبحوث. البريد الإلكتروني: aouam05@gmail.com

³ دكتوراة في علوم السنّة النبويّة، ودكتوراة في الفلسفة من الجامعة الأردنية، مدير الإفتاء الإلكتروني في دائرة الإفتاء في المملكة الأردنية الهاشمية. البريد الإلكتروني: jabusara80@yahoo.com

لبّ الفضيلة. واكتسبت التربية الفكرية -وفقاً للباحث- أولى مراتب مركزيتها في التراث الإسلامي. واستشهد -لتأكيد ذلك- بجهود المؤلفين التي ربطت بين العقل وأفعال القلوب والجوارح. وفي صدارة المؤلفين الذين اهتمّ بجهودهم في هذا السياق: الحارث المحاسبي، وأبو حامد الغزالي.

وعني -في المبحث الثاني- ببيان معالم تربوية فكرية، داخل منظومة التعليم الأولى، التي انفتحت على العلوم الدقيقة في الحضارة العربية الإسلامية، وتردد صداها في أنظار الفلاسفة والمفكرين: الكندي، ابن خلدون، وإخوان الصفا، وابن سينا، والزرنوجي. ووقف على مجموعة من المنهجيات التعليمية الأساسية، التي نبعت من تجليات المنظومة التعليمية المستندة إلى فلسفة عميقة تجاه "التربوية الفكرية" على أساس ثقافي علمي.

وعرض -في المبحث الثالث- للرؤية النقدية الاجتهادية (منهج الشك) عند أبي حامد الغزالي، وعدّها أحد أهمّ تجليات "التربوية الفكرية" في التراث الإسلامي (أبو سارة، ص 95-126).

وأوضح الباحث -في المبحث الرابع- قصده بالتجلي؛ إذ يعني به ما تركته المركزية المذهلة -حسب وصفه- للعلوم العقلية داخل التراث الإسلامي من أعظم الأثر في توجيه النسق العلمي نحو "التربية الفكرية". وتبدّت تجليات التربوية الفكرية -كدئى الباحث- في العلوم الحكيمة ذاتها؛ عبر نافذة الكتب، التي خُصّصت في "تصنيف العلوم" في الحضارة العربية والإسلامية، والإبداعات العلمية التي نهض بها علماء العرب والمسلمين (أبو سارة، ص 127-135).

وفي الفصل الرابع "علاقة التربية الفكرية بمعارف الإيمان" ذهب عمّار جيدل⁴ إلى عدّ الإيمان -في المقام الأوّل- مقولة معرفية، تتسم بالحيوية وتقع في صلب العملية التربوية (جيدل، ص 141).

وتحدّث -في المبحث الأوّل- عن الإيمان المؤسّس على الأمان؛ من منظور التفتيش عن الفكرة (المبدأ) الأصلية الباعثة على استعادة الفكر والتفكير أفق الوظيفة الوجودية. (جيدل، ص 143).

⁴ دكتوراة في العلوم الإسلامية تخصّص أصول الدين عقيدة وفكر إسلامي، أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي في كلية العلوم

الإسلامية، جامعة الجزائر 1 (يوسف بن خدة). البريد الإلكتروني: adjidel60@yahoo.fr

وأسهب الباحث في استحضار الشواهد التاريخية والمعاصرة، التي تؤكد أنّ التفكير في موضوع النهضة بالإيمان هو أصلٌ وقارٌّ في الفكر الإسلامي. وأنّ الصلة بين الإيمان والأمان صلة وثيقة، يشير إليها قاموس اللغة ويؤصلها الاستعمال القرآني. وذهب الباحث إلى أنّ الأمان مستودع في أصل الخلقة. ثمّ تتبّع المعاني المستشفّة من الحصانة التذكيريّة -بحسب تعبيره- في الآية الكريمة ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]. ثمّ كشف عمّا تقتضيه التربية الفكرية أنّ الفكر أمانة (جيدل، ص 143-154).

وعدّ الباحث -في المبحث الثاني- التوحيد مبدأً، ورؤيةً، وسيورةً، وأفقاً. ويبيّن قصده بهذه الألفاظ. ويمثّل التوحيد عنده -تبعاً لهذه الرؤية- برنامجاً عملياً لكلّ من انتسب إلى خطّ الإيمان. وقد نظر الباحث في مسألة متطلّبات التوحيد -من عدد من الزوايا المتكاملة-: التوحيد بوصفه: معتقداً، وتديراً، وسيراً في شعاب الحياة (جيدل، ص 154-164).

وأشار الباحث -في المبحث الثالث- إلى انشغال كثير من العلماء في القديم والحديث بقضية تجديد فهم الدين وتفعيله في الحياة، وشدّد على تبني التربية الفكرية الموازنة بين قدرة العقل والافتقار إلى الله، وضرورة تعدّد قلاع المراقبة -بحسب تعبيره- سواء كانت فكرية أو تربوية أو اجتماعية أو فنية أو سياسية، مع تأكيد الحرص على وحدة الوجهة في إطارها الكلّي والمحافظة عليها، وملخصها السعي الجدّي لخدمة كلّ الخلق؛ ابتغاء مرضاة الحقّ (جيدل، ص 165-168).

وعرض الباحث -في المحور الثاني من المبحث نفسه- للتحضّر بوصفه أفقاً للتربية الفكرية الإيمانية. وفصل القول في التحضّر في سياق التربية الفكرية، مؤكّداً قدرة الإسلام على أن يكون أساساً للقاء عالمي بأفق إنساني (جيدل، ص 169-173).

وفي الفصل الخامس "أهداف التربية الفكرية" عرّف عبد السلام محمد الأحرر⁵ -في المقدمة- بمقصده من البحث وبأهمّ المراجع التي أفاد منها (الأحرر، ص181-184). وعرض -في مبحثين- لأهداف التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاريّ الإسلاميّ؛ فعرّف -في المبحث الأوّل- المقصود بـ"الفكر" و"التربية الفكرية"، وتحدّث عن ضرورة تحديد توجّه فكريّ عامّ، يضمن اندراج الأفكار في نسق واحد، يمثل روح منهاج التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاريّ. وبيّن أنّ التوجّه الاستخلافيّ هو المطلوب، وحدّد الأسس التي يقوم عليها اختيار هذا التوجّه؛ وهي: الاستخلاف، والحرية، والمسؤولية. وكشف عن مفهوم الاستخلاف في إطار هذا التحديد، مشيراً إلى اضطرّاع الفكر بإبداع وسائل التنمية وخططها وتطويرها ورعايتها، وانحصار دور الوحي في عرض الأساس الإيمانيّ، الذي يجعل التنمية ممارسة استخلافيّة. وذهب إلى أنّ الاستخلاف هو أساس الهوية الإنسانية، وأنّ الهوية الثابتة -بين جميع بني آدم- هي كون الإنسان مستخلفاً في الأرض، وأنّه حرّ مسؤول، وأنّ الهوية الإسلامية تلزم الأمة بتحقيق أهداف نهضة شاملة (الأحرر، ص185-196).

وتطرّق الباحث -في المبحث الثاني- إلى أهداف التربية الفكرية، مقدّمًا لذلك باعتبار الاستخلاف مدخلاً للتربية الفكرية وأهدافها، وحدّد -وفقاً لهذا الاتجاه- الهدف الأسمى للتربية الفكرية؛ وهو تمكين الفرد والجماعة من الاضطرّاع بأعباء الاستخلاف الإيمانيّ في أبعاده المختلفة. ويشمل الاستخلاف -عند الباحث- مفاهيم الأمانة وقيمها. ومن ثمّ، أمكنه تحديد غاية التربية الفكرية في تأهيل النشء للقيام بأعباء الاستخلاف المتعدّدة. ونبّه إلى أنّ كلّ أهداف التربية الفكرية -في سياق النهوض الحضاريّ- تخضع لتأطير الفكر الاستخلافيّ (الأحرر، ص197-210).

⁵ ماجستير في الفكر والحضارة، من جامعة محمد الخامس في الرباط، والشهادة العليا للدراسات الإسلامية من مؤسسة دار الحديث

الحسنية. عضو المكتب التنفيذي للرابطة المحمّدية للعلماء، ومفتش تربويّ للتعليم الثانويّ، وخبير دولي في التربية والثقافة لدى

منظمة الإيسيسكو. البريد الإلكتروني: elahmerab@gmail.com

وفي الفصل السادس، تناول فتحي ملكاوي "موضوعات التربية الفكرية" في إطار رؤية تكاملية، في السياق الحضاري المنشود. وركز على بعض مكونات التربية الفكرية التي دعا إلى وجودها في أنظمة التربية والتعليم في المجتمعات الإسلامية، ضمن تلك الرؤية.

وقد حاول أن يغطي -في مباحث الفصول الثلاثة- جانباً من موضوعات التفكير التي تتنوع في طبيعتها ووظيفتها وخصائصها؛ لأهميتها في تحقيق أهداف التربية الفكرية التي ذكرها في مقدمة هذا الفصل.

تحدث -في المبحث الأول- عن رؤية العالم؛ من حيث موقع هذه الرؤية في التفكير، وعدّها هدفاً من أهداف التربية والتعليم؛ فتقضى مفهوم رؤية العالم، ومجموعة من الرؤى التي شهدتها العالم المعاصر. وكشف عن مدى إمكانية الفكر والتربية على الفكر في بناء رؤية العالم في ضوء العقيدة الإسلامية، وأهمية تلك الرؤية في النهوض الحضاري المنشود (ملكاوي، ص 215-228).

وخصّص المبحث الثاني لبناء التربية الفكرية على الوقائع والطباع؛ بوصفها موضوعاً للتربية الفكرية؛ فبحث في دلالات المصطلحين: المعجمية، والمصطلحية المتنوعة. وأشار إلى ارتباط استعمال مصطلح الوقائع بالحقائق التي تكشف عما يقابلها من كذب وتضليل وتشويه، وعما يقابلها من تفكير يقوم على الوهم والخيال، مُبرزاً أهمية أن يكون الأساس في التفكير وفي تعليم التفكير والتربية الفكرية مبنياً على "حقائق الواقع". وأكد -في حديثه عن الطباع- أن التربية الفكرية هي تنشئة، وتعليم، وإعداد، وتدريب، وتعويد للإنسان أن يتعامل مع الأشياء والموضوعات على اختلاف أنواعها، كلّاً وفق طبيعتها، على أحسن وجه (ملكاوي، ص 229-241).

وقصد -في المبحث الثالث- ملاحظة أنواع التفكير، وفقاً للمداخل المتنوعة في تصنيف هذه الأنواع، وحاول رسم خريطتها، وما يلزم فيها من مناهج وأساليب ومهارات. ووقف على مصطلحات متعددة عرّفها الكتابات عن التفكير، ومصطلحات متعددة لوصف التفكير تستعملها

الكتب المتخصصة في التفكير أو البحث. وأشار إلى عدد من المصطلحات المستخدمة التي تشير إلى "نوع التفكير" (ملكاوي، ص 242-255).

وفي الفصل السابع، تناول مصدق الجلدي⁶ "موضوعات التربية الفكرية: مبادئ في حرية التفكير والتحليل النقدي والتبني والتبني". وقد عرض في مقدمة الفصل لأهداف البحث في هذه الموضوعات، وأهميتها، والمنهجية التي سلكها (الجلدي، ص 263-265).

وجاء الفصل في أربعة مباحث، وفقاً للمفاهيم (القيم) المعرفية الأساسية الثلاثة: حرية التفكير، والتحليل النقدي، والتبني والتبني.

بدأ الباحث -في المبحث الأول- بتعريف حرية التفكير عند كانط بوصفها رديفة للتنوير؛ من حيث هو استخدام العقل دون توجيه من الآخر. وعدّ الباحث أنّ لهذا المبدأ الكوني (حرية التفكير) أساساً متيناً في القرآن الكريم، وضرب أمثلة عليه، ثم تحدّث عن الاجتهاد في الإسلام بوصفه ممارسة للتفكير الحرّ، وفق الضوابط العقلية والشرعية. ووقف الباحث على بعض ثمار حرية التفكير، في المجالين: الفقهي، والعلمي. وعرض لقضية التضييق على حرية التفكير في التاريخ الإسلامي، وبين خطورة الاستبداد في تعطيل حرية العقول، وأهمية حرية التفكير في نهضة المسلمين في الوقت الحاضر (الجلدي، ص 266-274).

وعرّف -في المبحث الثاني- "النقد" في اللغة وفي الاصطلاح (الأدبي، والفلسفي)، ولجأ إلى التمييز بين النقد والحس النقدي، وكشف عن روح النقد في القرآن الكريم وفي سير الأنبياء، وروح النقد العلمي في السنة النبوية، وعرض لقضية الحس النقدي لدى علماء المسلمين ومفكرهم، ضارباً المثل بالحسن بن الهيثم. ونوّه الباحث باتّفاق أئمة أهل الأمصار الإسلامية على فساد التقليد الأعمى، عاذاً ذلك من علامات الحس النقدي والحرية الفكرية. ولم يُثنه التنويه

⁶ * دكتورة في علوم التربية، أستاذ باحث في مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة، وأستاذة تعلّمية الدراسات الإسلامية بجامعة الزيتونة، وخبير دولي في التربية. البريد الإلكتروني: msaddakj2@gmail.com

بمنجزات العقل العلميّ الإسلاميّ عن التصدّي للعوائق المعرفيّة والثقافيّة في تكوين العقل العربيّ، ولا سيّما لدى المُفسّرين. وبحث دور التحليل النقديّ في التقدّم المعرفيّ في العالم الإسلاميّ (الجليديّ، ص 275-283).

وعرض الباحث - في المبحث الثالث - لموضوع الثبّت والتبيّن، مبتدئاً بتعريف الثبّت والتبيّن في المعجم اللغويّ، ومستشفاً منه دلالات كلمة الثبّت التي تنطوي على راحة العقل وسلامة التفكير، وأصل هذا المعنى في القرآن والسنة، وانتهى إلى القول بتضافرها في تقرير منهج متكامل في الثبّت والتبيّن. ثمّ تتبّع منهج الثبّت والتبيّن في سير الأنبياء عليهم السلام، وممارسة علماء المسلمين لهذين المبدأين في أنظارتهم العلميّة، وفي علم الحديث، وفي التراث الإسلاميّ الذي عرف التبيّن والثبّت في رواية الأخبار التاريخيّة، وفقاً لما فعله ابنُ خلدون في عرض الروايات على قواعد العمران البشريّ وطبائعه، وعلى طبائع الكائنات. وأوضح الباحث دور قيم الحذر المعرفيّ في البناء السليم للشعور التاريخيّ والوعي الحضاريّ، ودعا إلى تجذير النقد الخلدونيّ؛ بإعطاء الأولويّة لطبائع العمران البشريّ على مجرّد الرواية والنقل (الجليديّ، ص 284-288).

وتحدّث الباحث - في المبحث الرابع - عن مهارات التفكير في التربية المنشودة، مستعرضاً واقع مهارات التفكير في المناهج التربويّة لدى عدد من البلدان العربيّة، وما تشير إليه التقارير الدوليّة التي تختصّ بواقع التعليم في البلاد العربيّة والإسلاميّة؛ من ضعف ملحوظ في ممارسة حرية التفكير والتحليل النقديّ والحذر المعرفيّ. وذهب إلى أنّ التربية على حريّة التفكير ليست خاصّة بمجالات، مثل: الفلسفة والإنسانيّات فحسب، بل هي مطلوبة حتّى في المجالات الأكثر صرامة علميّة، والأصل أن تكون حريّة التفكير مبدأً إسلاميّاً، وأنّ أيّ إصلاح للواقع المتخلّف في المجتمعات الإسلاميّة، إنّما يبدأ من تنشيط الخيال للأطر الفكرية النقديّة والحلول الإبداعية، وأنّ حرية التفكير مبدأ يجب تعميمه على مجالات التربية والتعليم كلّها؛ لتتحوّل إلى مسلّمة لدى المدرّس، وتندمج في النظريّات الضمنيّة والممارسات التعليميّة. وأوضح الباحث الطرق التي تمكّن من أن يتحوّل مبدأ حريّة التفكير إلى مسلّمة من مسلّمات المدرّس، ثمّ تناول موضوع التربية على التبيّن والحذر المعرفيّ؛

من خلال استكناه دعاء الجاحظ الذي بدأ به كتابه الحيوان، الذي استخلص منه الباحث منهجاً في التفكير العلمي والاتجاه القيمي السوي، قوامه: عدم الركون لليقين الوثوقي الموقّع في تبني الشبهات، وعدم الاستسلام للشك المتطّرف المُسلم للحيرة، واشتراط التثبت طريفاً للمعرفة اليقينية وصدقها. وعرض الباحث لمبادئ في حرية التفكير والتحليل النقدي والتثبت والتبين؛ وهي المبادئ ذاتها التي وضعها الجاحظ منهجاً تربوياً علمياً؛ لممارسة الحذر المعرفي، واستنتج الباحث منها وجوب اعتماد خطوات إعمال مبدأ التثبت (الجليدي، ص 289-299).

وفي الفصل الثامن، تناول عبد المجيد النّجار⁷ -في أربعة مباحث- موضوع "التعلّم الذاتي" والمسؤولية الفردية في التحقق بالتربية الفكرية".

وقف -في المبحث الأول- على مفهوم التعلّم الذاتي وموقعه في الموروث التربوي الإسلامي؛ إذ وجد في هذا الموروث إضاءات مهمة في هذا الشأن، مع إقراره بشحّه من التعلّم الذاتي في شكل نظرية متكاملة. وأهمّ الإضاءات التي أشار إليها الباحث ما جاء عند علمين من أعلام التربية في التراث الإسلامي: برهان الإسلام الزرنوجي من المشرق، وعبد الرحمن بن خلدون من المغرب (النّجار، ص 311-319).

وتحدّث -في المبحث الثاني- عن المؤهلات الفطرية للتعلّم الذاتي "الاستعدادات الفطرية للتعلّم"، وأهمّها: المخزون الفطري من العلم، والمنطق الفطري للعقل الإنساني، وفطرية التشوّف المعرفي (النّجار، ص 320-324).

واستعرض -في المبحث الثالث- منهجية التكوين على التعلّم، ووقف على أهمّ عناصر تلك المنهجية، في التعليم الذاتي (النّجار، ص 325-335).

⁷ دكتوراة في العقيدة والفلسفة، من جامعة الأزهر 1981م، عمل أستاذاً في جامعة الزيتونة في تونس، وفي عدد من الجامعات العربية

والأجنبية. البريد الإلكتروني: abdelmajidn10@gmail.com

وتقتضى -في المبحث الرابع- المخرجات الحضارية للتعلّم الذاتي؛ وهي -في نظره-: الرّشد الفكريّ، والانفتاح الثقافي والاجتماعي، وتحمل المسؤولية، والثقة بالنفس والجرأة العلمية (النّجار، ص336-342).

وفي الفصل التاسع، عالج ناصر يوسف⁸ موضوع "التربية الفكرية في الخبرة التربوية الماليزية المعاصرة" مُنطلقاً من رؤية تحليلية نقدية إسلامية، وملتصفاً أن يجد في هذه التجربة ما يُنتفع به في تنمية المجتمعات العربية. وحلّل هذه التجربة في ثلاثة مباحث: عرّف في المبحث الأول بملامح فلسفة التربية الوطنية في ماليزيا وموقع التربية الفكرية فيها، وحدّد الغايات التي تصبو إليها القيادة السياسية الماليزية من برامج التربية الفكرية. ورجّح القول بعدم وجود طريقة منهجية واضحة ومعلومة في ماليزيا عن كيفية تدريس التربية الفكرية؛ وهي عنده أقرب إلى الإرهاسات؛ إذ تميل إلى أن تكون تربية إبداعية وعقلانية موقوفة على تحقيق أهداف التنمية المستدامة. ومن ثمّ، عيّن الباحث الإرهاسات، وأسهب في حديثه عنها، ونبّه إلى بعض السلبيات التي رافقت هذه التربية، وعرض لبعض العقبات التي حدّت من نجاح التربية الفكرية في ماليزيا، وذكر في تحليله أهداف التربية الفكرية وإنجازاتها، والعقبات التي واجهتها، وبعض السلبيات التي عانت منها (يوسف، ص352-362).

وأجرى الباحث -في المبحث الثاني- تحليلاً تقييمياً للتربية الفكرية الماليزية؛ إذ حلّل فيه: الموقف السياسي المتباين من لغة التدريس، والتربية الفكرية والتربية الدينية (يوسف، ص363-379). واستعرض -في المبحث الثالث- بعض الدروس المستفادة -عربياً وإسلامياً- من التجربة الماليزية، في تضمين التربية الفكرية في المجتمعات العربية في النظام التعليمي، وقدم تصوّراً مقترحاً للتربية الفكرية في المجتمعات العربية؛ بُغية تمتين هذه التربية بوصفها أساس النهوض الحضاري (يوسف، ص380-384).

⁸ دكتورة في اقتصاد التنمية المقارن، من جامعة ملايا بهاليزيا، باحث جزائري في مكتب البحوث والابتكار، الجامعة الإسلامية

وفي الفصل العاشر "معيقات التربية الفكرية وسبل التغلب عليها" عرض عبد الرزاق بلعقروز⁹ لبعض العناصر التي تحول دون تحقيق التربية الفكرية النموذجية؛ وذلك للتخلص مما يحول دون تحصيلها في سياق المطالبة بتعليم التفكير من جديد؛ عن طريق بناء الوعي ببنية تلك العوائق، ورسم سبل التغلب عليها. وقد أفصح الباحث عن ذلك في مقدمة الفصل التي عرض فيها: لمفهوم التربية الفكرية، والمقصود بمفردة (المعيقات) في المعجم اللغوي، والمقصود بـ(معيقات التربية الفكرية) (بلعقروز، ص 391-395).

وقد تناول الباحث المعيقات في بحثين: أشار -في المبحث الأول- إلى عدم انتهاء تلك المعيقات إلى جنس واحد؛ إذ هي -عنده- من أجناس متداخلة ومتراصة؛ وهي:

1. أمراض النفس أو فساد الإنسان في قدرته على أخلاقه. ويشير المرض -هنا- إلى تغلب الطاقة الحيوية على الإنسان، أو تحكم قوى الطبع الإنساني في العقل والتفكير. ويقصد الباحث بقوى الطبع (أو الدوافع الحيوية): الدافع الجنسي، والدافع الغذائي، والدافع المِلَكي، والدافع الخصبِي، والمتمركز حول الأنا.

2. التطبع الثقافي والصناعي. ويقصد الباحث بالتطبع الثقافي ما سَمَّاه "الاقتداء بالآثار" المانع من تفعيل التربية الفكرية، وبناء عالم الأفكار في سياق تحديات حضارية مخصوصة. ويعني بالتطبع الصناعي: الآثار التي يتركها المنطق في تفكير الإنسان؛ على معنى الاستغراق في المنطق إلى درجة قد تحول دون إِبصار الحقيقة.

3. أمراض التفكير أو فساد الإنسان في قدرته على تفكيره؛ أي حصر التفكير في نطاق تجريبي، ضيق. ويتسم هذا التفكير -على تعدد أنماطه- بالاستسلام إلى الاختزال، والتبسيط (بلعقروز، ص 396-407).

⁹ دكتوراة علوم في الفلسفة من جامعة منتوري / الجزائر 2012م، أستاذ فلسفة القيم، بجامعة سطيف2، في الجزائر، رئيس تحرير

واستعرض الباحث - في المبحث الثاني - أساليب العلاج التي من شأنها أن تحرّر التربية الفكرية من تلك المعيقات، واقترح ثلاثة أساليب للعلاج: أولاً. التهذيب الأخلاقي.

ثانياً. استثمار التربية الفكرية ذات العوائد الكثيرة. والمراد بالعوائد: النقد، والانفتاح، والحوار الجدلي بين المعارف.

ولأجل التصدي للإكراهات التي يتركها التطبع الثقافي، شدّد الباحث على تنفيذ الأعمال الآتية:

1. التحرّر من التطبع الثقافي والصناعي؛ بالتحاور، والانفتاح على الأفكار الغربية في الفلسفات والعلوم، وتبادل المنافع، والتنافس في ذلك.
2. الحرارة الحوارية؛ بمعنى كثافة أو تعددية التبادلات والمواجهات والتساؤلات بين الآراء والأفكار والتصورات، وتليين الصلابات والثوابت المعرفية.
3. التخلص من الإفراط في المنطق؛ إذ إنّ المنهج السليم هو أن تكون بداية حركة الفكر - عندما يستشكل عليها الأمر - الإقبال على الفكر الطبيعي، واستمطار رحمة الله.

ثالثاً. التمييز من أجل التوحيد لعلاج أمراض التفكير، ويتطلب ذلك عند الباحث صياغة رؤية لذات التفكير نفسه؛ تتسم بسمتين أساسيتين: الأولى: أن يكون عمل التربية الفكرية تطوير أشكال جديدة من التفكير في سياقات جديدة وتحديات حضارية جديدة. والثانية: من -الجهة المنهجية- إبقاء حركة الفكر تراوح طريقها بين التمييز والتوحيد؛ أي أن التمييز بين أنماط التفكير إجراء. وقدّم الباحث ثلاثة إجراءات تزيل عن التربية الفكرية موانع التفكير؛ وهي تتضمن أن يتعلّم المتلقّي إحكام القدرات الآتية:

1. تعليم التجزئة من أجل التكامل.
2. تعليم الاشتباك مع الحركة.
3. تعليم الاجتهاد الفكري.

وأثبت الباحث - في نهاية الفصل - ملحقاً ينطوي على جدول بأهم المعوقات التي تواجه التربية الفكرية وسبل التغلب عليها؛ وهو بمنزلة تلخيص للمعوقات، التي تناولها الباحث في هذا الفصل (بلعقروز، ص 408-429).

وفي خاتمة الكتاب، أشار فتحي ملكاوي إلى أهم القضايا التي عُنِي بها الكتاب، وأثرها في تعميق الوعي بأهميّة التربية الفكرية، ودورها في تطوير الفكر التربويّ القادر على صياغة الشخصية الإسلامية المتوازنة، وبناء الهوية الحضارية المتميزة. ودعا ملكاوي إلى استمرار البحث والكتابة في موضوعات هذه التربية؛ لتكون طريقاً إلى إصلاح التربية، وأساساً جوهرياً في الإصلاح والتقدم في مجالات النهوض الحضاريّ الشامل (ملكاوي، ص 431-435).